

النراث العربى

سلسله تصدرها دائرة الطبوعات والنشر
فى الكويت

- ٤ -

العبر

فى خبر من خبر

مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبى
٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م

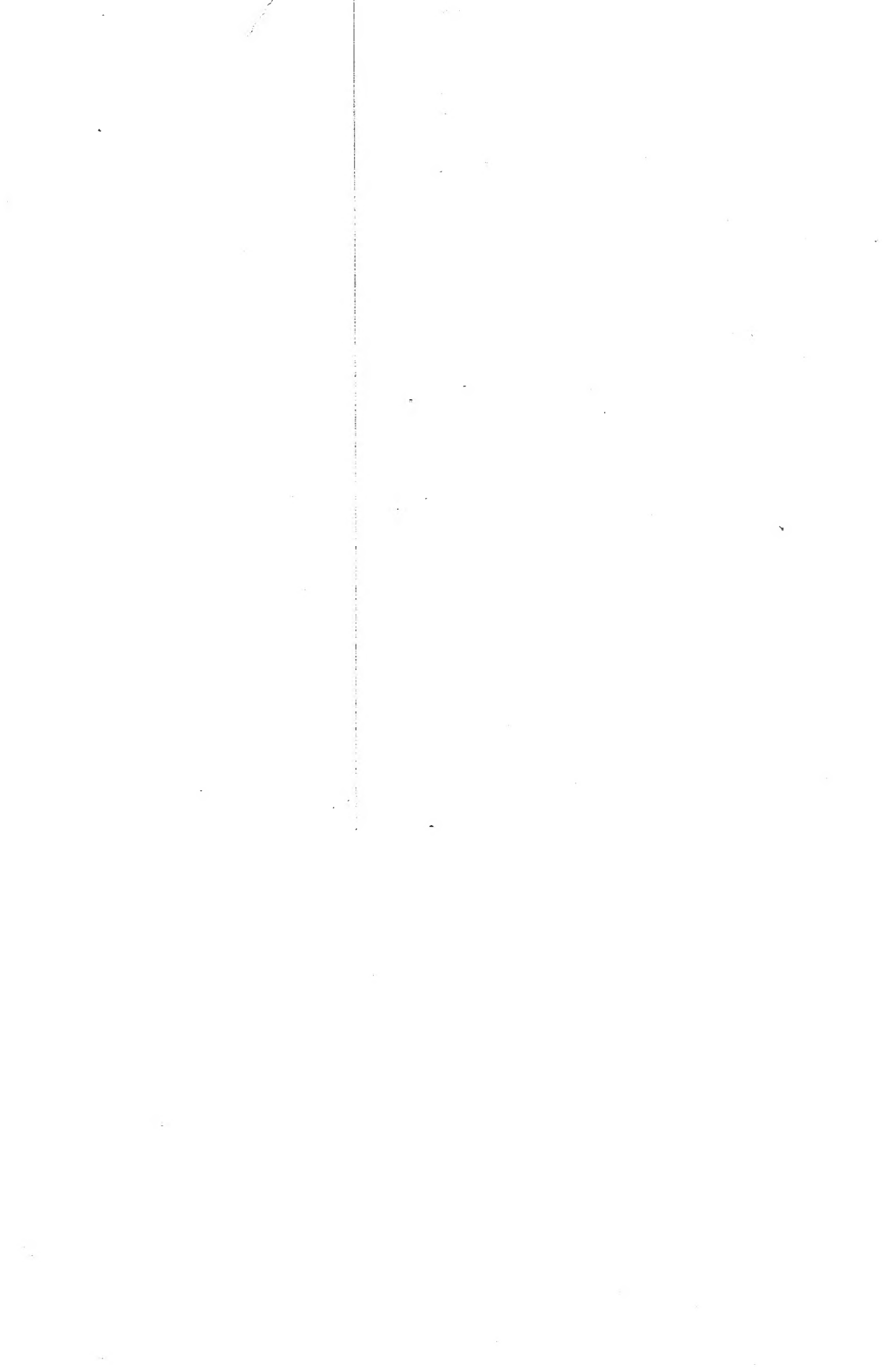
الجزء الأول

بتحقيق

الدكتور صلاح الدين المنجد

مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربيه

الكويت ١٩٦٠



مقدمة المحقق

١

ولد الذهبي بدمشق سنة ٦٧٣ هـ في أوائل عصر المماليك . وقد انطلق منذ صغره نحو العلم بتأثير أسرته وأقربائه ، وأصيب بنهم في التعلم حتى بلغ عدد شيوخه ألفاً ومئتين وأزيد ، وكان من أقران ابن تيمية والمزني والبرزالي . وقد كان هو ، وهؤلاء الثلاثة أعلام الحديث والفقه والتاريخ في القرن الثامن . أثروا في عصرهم تأثيراً يزيد وينقص ، وخلقوا بعدهم آثاراً وتواليف ضخمة تعتبر مفخرة في تراثنا العربي الإسلامي . وتوفوا جميعاً الواحد بعد الآخر ، في القرن نفسه ، وكان آخرهم وفاة الذهبي ، كما كان آخرهم ولادة ، توفي سنة ٧٤٨ هـ عن خمس وسبعين سنة ، ودفن في مقابر الباب الصغير بدمشق ، بعد أن أطفأ القلم وكثرة القراءة نور عينيه ، وبعد أن لقبه معاصروه « مؤرخ الإسلام ومحدث العصر » . وترك عشرات من المؤلفات الضخمة النادرة. (١)

٢

لقب الذهبي بمؤرخ الإسلام لأنه ألّف « تاريخ الإسلام » في أحد وعشرين مجلدًا ضخماً . بدأ به من أول الإسلام إلى أول القرن الثامن ، وقد جمع فيه الحوادث التي وقعت سنة سنة ، إلى وفيات الكبار من الخلفاء والقراء والزهاد والفقهاء والمحدثين والعلماء والولاة والوزراء والنحاة والشعراء . . .

ثم رأى أن تاريخ الإسلام هذا واسع جداً ، فأراد أن يضع تاريخاً

(١) انظر عن حياة الذهبي وآثاره المقدمة الواسعة التي قدمنا بها المجلد الأول من « سير أعلام النبلاء » . وكذلك الجزء الثالث من كتابنا « أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب » .

أقصر منه ، فوضع تاريخه — الذى تنشره اليوم دائرة المطبوعات والنشر في الكويت — وهو « العبر في خبر من غبر » ، وجعله في مجلدين ضخمين ، وجعل فيه لبّ تاريخه الكبير سواء في الحوادث أو الوفيات .
وقد بدأه بقوله :

« . . هذا تاريخ مختصر على السنوات أذكر فيه ما قدّر لى من أشهر الحوادث والوفيات ، مما يتعيّن على الذكىّ حفظه ، وينبغى للطالب ضبطه ، ويتحتّم على العالم إحضاره . »
وأنهاه بقوله :

« انتهى ما أردتُ إيرادَه من كبار الحوادث ، وأكابر الناس من العلماء والرواة والأعيان . . . »

فنحن نرى أن الذهبي أراد أن يجعل لتاريخه هذا ميزة خاصة وهى أن يذكر فيه ما وقع خلال القرون السبعة للإسلام ، من أشهر الحوادث وأشهر المتوفين ، فهو إذن لبّ التاريخ الكبير .

ولا ندرى على الضبط متى بدأ بتأليفه ، والمرجح أن ذلك كان بعد انتهائه من تاريخه الكبير . فنحن نعلم أنه فرغ من تاريخ الإسلام في سنة ٧١٤ هـ . وهو يحدثنا في آخر كتاب العبر أنه فرغ منه في سنة ٧١٥ هـ ، فيكون قد لخصّ تاريخه الكبير في السنة التى تلت الفراغ منه .

على أننا بعد أن قايّسنا ما في العبر من الحوادث والوفيات ، بما في تاريخ الإسلام منها ، رأينا أن الذهبي لم يتقيّد تماماً بما ذكره في التاريخ الكبير . فقد وجدنا في العبر من الحوادث والوفيات ما ليس مذكوراً في التاريخ ، ووجدنا في التاريخ منها ما ليس مذكوراً في العبر ، وهذا الأمر يدلّ على أن الذهبيّ كان يختار ، ويؤلف ، ولا يلخص فقط ، ومن هنا نستنتج أنه لا غنى للباحث والعالم عن كلٍّ من الكتائين ، وأنّ لكلٍّ من التاريخين صفاته الخاصة ومزاياه .

هذه المزايا التي اختصّ بها كتاب العبر ، جعلت له شأنًا عند العلماء والمؤرخين . ذلك أن من الأسهل والأيسر للعالم والطالب أن يقرأ مجلدين فيهما خلاصة التاريخ الإسلامي ، في الحوادث والوفيات ، باختيار مؤرخ كبير كالذهبي ، من أن يقرأ مثلاً واحداً وعشرين مجلداً ضخماً . لذلك وجدنا كثيراً من العلماء اعتمدوا عليه في نقولهم . ونخصّ بالذكر عالمين كبيرين : الأول ابن العماد الحنبلي ، فقد نقل منه نقولاً واسعة في كتابه « شذرات الذهب » والثاني مؤرخ دمشق النُعَيْمِي ، فقد اعتمد عليه اعتماداً واضحاً في كتابه « تنبيه الطالب » الذي طبع باسم « الدارس في تاريخ المدارس » . وثمة مظهر آخر من مظاهر شأن العبر هو أن العلماء ذيلوا عليه ، أي تابعوا الذهبي في ذكر كبار الحوادث والوفيات في العصر الذي تلا عصر الذهبي ، وسمّوها « ذيل العبر » .

٣

اعتمدنا في نشر العبر على مخطوطتين جيدتين . الأولى كنا قرأناها أيام مقامنا في باريس ، في المكتبة الوطنية . وهى في مجلدين كبيرين ، رقمهما 1584, 1585 . Arabe .

ينقص من المجلد الأول الورقة الأولى . . فيه من السنة الأولى للهجرة إلى سنة ٤٤٣ هـ .

وينتهى بما يلي :

« فرغه لنفسه ولمن شاء الله بعده فقير رحمة ربه محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني عفا الله عنه . ووافق ذلك يوم غرة صفر عام ست وخمسين وسبع مئة بخانقاه الطواويس بدمشق . والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله وسلم . وهو حسبنا ونعم الوكيل . »

أما المجلد الثاني فهو كامل .

على الورقة الأولى :

المجلد الثاني من كتاب العبر

في خبر من غبر

« تصنيف الشيخ الإمام العلامة الحافظ العنيدة الحجة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الذهبي رحمه الله » .

وتحت ذلك ضمن دائرة مثمثة الجوانب

برسم الخزانة الشريفة

السلطانية الملكية الناصرية

أبي السعادات فرج

خلد الله تعالى ملكه

وثبت دولته

بمحمد وآله .

ويبدأ هذا المجلد بحوادث سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، وينتهي في سنة ٧٠٠ . وهو بخط الحافظ الحسيني نفسه . إلا أن الورقة الأخيرة منه قد انتزعت . وهي التي تشير إلى اسم الكاتب وسنة الفراغ من الكتابة . والمجلدان بخط نسخي جميل ، مهمل النقط أحياناً كثيرة .

وميزة هذه النسخة أن كاتبها هو الحافظ الحسيني . وهو من كبار علماء الحديث في القرن الثامن . وكان تلميذاً للذهبي ، وأعرف الناس بشيوخ الحديث المعاصرين له . وقد نصّ ابن حجر على أن خطّه « معروف حلو » وأنه كتب بخطه الكثير . وقد ولع بالتذيل على كتب شيخه الذهبي ، فذيل على « العبر » وذيل على « طبقات الحفاظ » هذا إلى جانب توالييف وتصانيف كثيرة تركها في الرجال .

أما النسخة المخطوطة الثانية فهي مخطوطة المكتبة الأحمدية بجلب . برقم ١٢١٨ . . في مجلد واحد كامل ، يقع في ٤٠٠ ص تقريباً .

كتب على الورقة الأولى منها

تاريخ الذهبي رحمه الله

وفي آخرها ، بخط غير خط النسخة

« هذه النسخة المباركة بخط الحافظ ابن حجر

المستطاف رحمه الله . . . »

وقد قارنّا خطّ هذه النسخة بمسوّدة مخطوطة « إنباء الغمر » الّتي كتبها ابن حجر بخطه ، والمخطوطة بدار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ٢٤١ تاريخ فوجدنا أنّ الخط في مخطوطة العبر هو خط ابن حجر نفسه . وهو خط صعب سقيم ، يهمل النقط ولا يتقيّد بقواعد رسم الحروف .

وقد كان معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية قد صوّر مخطوطتي العبر من باريس وحلب ، وضمّتهما إلى مجموعاته النفيسة ، وقد اعتمدنا على مصوّرات المعهد في التحقيق .

٤

نهج التحقيق

إن مخطوطة الحسيني صحيحة على الغالب ، إلّا أنّنا لاحظنا أحياناً أنّ هناك تصحيّفات قليلة في أسماء الأعلام . ولقد قرأ هذه النسخة عالم آخر لم يذكر اسمه ، وصحّح ما أخطأ فيه الحسيني . ولعل هذه الأخطاء من السرعة ، فقد ذكر ابن حجر أنّ الحسيني نسخ العبر في خمسة أيّام . وقد اتخذنا نسخة الحسيني أصلاً ، ورجعنا إلى نسخة ابن حجر لاستيضاح ما التبس علينا أمره من الألفاظ ، ولاستكمال ما في نسخة الأصل من خروم ، ويمكن القول أنّ النسختين متفقتان ، إلّا من بعض ما ورد في هذه أو تلك من تصحيّف أو تحريف .

وقد كان جلّ اهتمامنا عند تحقيقنا هذا الكتاب هو ضبط أسماء الأعلام بالشكل أو باللفظ . ذلك أنّنا وجدنا الكثير من كتب الرجال طبعت دون العناية بضبط أسماء الرجال فيها ، لذلك كانت الفائدة منها قليلة . وكذلك أشرنا إلى الأماكن وأحلنا إلى المراجع الّتي ذكرتها .

وقد جعلنا أمام كل حادثة أو وفاة نقطة سوداء ليسهل الرجوع إليها . وفيما عدا ذلك رجعنا إلى قواعدنا في تحقيق النصوص .

شكر

ومن الواجب شكران دائرة المطبوعات والنشر في الكويت على إخراجها هذا التاريخ الحافل الموجز في سلسلة التراث العربي . فنحن واثقون أنّ الفائدة منه ستكون جزيلة ، لأنه سيُغنى الباحث ، عن كتب كثيرة مختلفة . وسيسجّل العلماء ، عند دراسة النهضة العلمية العربية المعاصرة ، هذه اليد البيضاء ، لدائرة المطبوعات في الكويت ، في بعث التراث العربيّ ونشره بين الناس . لأن هذا العمل هو الأساس الأوّل لنهضة اليوم وازدهار المستقبل ، وليس الحاضر إلا جسراً بين الأمس والغد .

صلاح الدين المنجد

القاهرة